

ابن الأثير: حياته وآثاره العلمية

محمد فضل حق* الدكتور الحافظ عبدالرحيم**

Abstract:

This article is about the life of renowned scholar, writer, (muhadith) and Arabic lexicographer Ibn-e-Aseer Al-Mubarak Bin Muhammad Aljazari and his achievements. This also describes his renowned teachers like Abu Bakar Yahya Al-Qurtabi (D 522 A-H) Nasih-ud-Din Baghdadi (D 567 A-H) and Imam Toosi (D 578 A-H). Books like Alkamil Fil Tareekh, Al-Insaaf, Dewan-e-Rasail, Al-Mukhtar Fi Manaqib-ul-Akhyar, Jami-ul-Asool Fi Ahades-ur-Rasool and Al-Nahayat Fi Ghareeb Al-Hadees are also introduced in this article.

Al-Nahayat Fi Ghareeb-ul-Hadees is an explanation of difficult words used in Ahadith is very popular among scholars. His work is related to history, Arabic lexicography, Adadith.

ابن الأثير : حياته

اسمه ونسبه:

هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ثم الموصلية الإربلي، يكنى بأبي السعادات، ويلقب بمجدالدين، ويعرف بابن الأثير. (١)

مولده:

وقد اتفق المؤرخون، وانعقد الإجماع على أنه ولد في الربيعين سنة ٥٤٤ هـ بجزيرة ابن عمر. قال ياقوت الحموي عن الجزيرة: "هي بلدة فوق الموصل، بينهما ثلاثة أيام". (٢)

موطنه:

نشأ أبو السعادات بالجزيرة، ثم انتقل إلى موصل سنة ٥٦٥ هـ، وسمع الحديث، وقرأ الفقه والحديث والأدب والنحو، ثم اتصل بخدمة السلطان، وترقت به المنازل حتى باشر كتابة السر، وسأله صاحب الموصل أن يلي الوزارة فاعتذر بعلو السند والشهرة بالعلم.

* باحث ماجستير الفلسفة في اللغة العربية، جامعة بهاء الدين زكريا ملتان- باكستان

** الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية، جامعة بهاء الدين زكريا ملتان- باكستان

أسرته:

”ابن الأثير“ اسم يعرف كل من اتصل بالمكتبة العربية؛ محدثاً أصولياً، أو مؤرخاً نساباً، أو كاتباً بليغاً. ولم يعرف لرب الأسرة عناية بالعلم أو تصنيف فيه، ولكنه أنجب عباقرة ثلاثة، كان لهم في تاريخ الثقافة العربية شأن أي شأن. لقد اندفع كل منهم في الطريق الذي اختاره يشكل معالم نهضتها الفكرية ويثري جوانبها بإنتاجه الخصب الوفير. وقد اختار محمد الدين الحديث والفقه، وآثر عز الدين التاريخ والأنساب، بينما مال ضياء الدين إلى الكتابة والبيان.

وعز الدين هو أبو الحسن علي، ولد بجزيرة ابن عمر في رابع جمادى الأولى سنة (٥٥٥ هـ). وتوفي في شعبان سنة (٦٣٠ هـ) بالموصل. (٣) قال ابن خلكان: ”كان إماماً في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به، وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وخبيراً بأنساب العرب وأيامهم ووقائعهم وأخبارهم“ وهو صاحب ”الكامل“ في التاريخ، و”اللباب في تهذيب الأنساب“ و”أسد الغابة في معرفة الصحابة“.

وضياء الدين هو أبو الفتح نصرالله. ولد بالجزيرة أيضاً في يوم الخميس العشرين من شعبان سنة (٥٥٨ هـ) وتوفي يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة (٦٣٧ هـ) ببغداد. (٤) وهو الكاتب البليغ صاحب ”المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر“ قال ابن العماد: ”جمع فيه فأوعى، ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره“.

ونقل الزبيدي في مادة (أثر) عن بعضهم، في أبناء الأثير:

”وَبَنُو الْأَيْثِرِ ثَلَاثَةٌ قَدْ حَازَ كُلُّ مُفْتَخِرٍ

فَمُؤَرِّخٌ جَمَعَ الْعُلُومَ وَآخِرٌ وَلِيَ الْوَزَرَ

وَمُحَدِّثٌ كَتَبَ الْحَدِيثَ لَهُ النَّهَائِيَّةُ فِي الْأَثَرِ“ (٦)

مكانته العلمية:

قال ياقوت: ”كان عالماً فاضلاً وسيداً كاملاً، قد جمع بين العربية والقرآن والنحو واللغة والحديث وشيوخه وصحته وسقمه، والفقه، وكان شافعيًا، وصنف في كل ذلك تصانيف هي

مشهورة بالموصل وغيره“ (٧).

وقد ذكر ابن خلكان قول أبي البركات ابن المستوفي من ”تاريخ إربل“ في حقه: أشهر العلماء ذكرا، وأكبر النبلاء قدرا، وأحد الأفاضل المشار إليهم، وفرد الأمثال المعتمد في الأمور عليهم. (٨)

وقد ذكر السيوطي: ”كان من مشاهير العلماء، وأكابر النبلاء، وأوحد الفضلاء. (٩) وفي شذرات الذهب: ”قال ابن خلكان: كان فقيها محدثا أدبيا نحويا عالما بصناعة الحساب والإنشاء، ورعا عاقلا مهيبا ذا بر وإحسان“ (١٠).

شيوخه:

- قرأ أبو السعادات على طائفة من العلماء الأجلاء، منهم:
- ١ - وقد سمع ببغداد من أبي القاسم صاحب ابن النخل: هو ابن الحسن محمد بن المبارك بن عبد الله بن محمد الفقيه الشافعي البغدادي، ولد سنة: ٤٧٥ هـ، وتوفي: ٥٥٢ هـ. (١١)
 - ٢ - أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي القرطبي، النحوى اللغوى المقرئ الأديب، المتوفى: ٥٦٧ هـ. وقد أخذ عنه النحو، وسمع منه الحديث. (١٢)
 - ٣ - ناصح الدين أبي محمد ابن المبارك بن علي بن الدهان البغدادي النحوى، المتوفى: ٥٦٩ هـ، وقد أخذ عنه الأدب والنحو. (١٣)
 - ٤ - وسمع الحديث الحديث بالموصل، من خطيبها أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي، المتوفى: ٥٧٨ هـ. (١٤)
 - ٥ - وسمع من ابن كليب، أبي الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد الحراني، ثم البغدادي الحنبلي التاجر، المتوفى ببغداد: ٥٩٦ هـ. (١٥)
 - ٦ - وسمع من أبي الحرم مكى بن ريان بن شبة بن صالح الماكسينى النحوى الضرير، نزيل الموصل، المتوفى: ٦٠٣ هـ. (١٦)

٧ - وسمع من عبد الوهاب بن سكينه، الصوفي الشافعي، المتوفى: ٦٠٧ هـ. (١٧)

تلاميذه:

وقد أخذ عنه جماعة من الناس، منها:

- ١ - وقد روى عنه ولده.
- ٢ - وقد روى عنه بالإجازة فخر الدين بن البخاري، المتوفى: ٥٩٣ هـ. (١٨)
- ٣ - والشهاب الطوسي، أبو الفتح محمد بن محمد بن شهاب الدين، نزيل مصر وششيخ الشافعية، المتوفى: ٥٩٦ هـ. (١٩)
- ٤ - وممن روى عنه أيضا القفطي، المتوفى: ٦٤٦ هـ، وقال: رويت عنه - رحمه الله - وقال: كتب إلي الإجازة بجميع مصنفاة ومسموعاته ومروياته .

مؤلفاته:

قد ترك أبو السعادات، ابن الأثير طائفة من المؤلفات القيمة، تشهد بثقافته الواسعة، وعلمه الغزير. فقد بلغت مصنفاة إلى سبعة عشر، ما بين مطبوع ومخطوط، في شتى العناوين، وهي:

- ١ - الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف: أربع مجلدات .
- ٢ - الباهر في الفروق .
- ٣ - البديع .
- ٤ - تجريد اسماء الصحابة .
- ٥ - تهذيب فصول ابن الدهان .
- ٦ - جامع الأصول في أحاديث الرسول؛ قال ياقوت: "جمع فيه بين البخاري ومسلم والمؤطا وسنن أبي داود وسنن النسائي والترمذي. جمعه على حرف المعجم، وشرح غريب الأحاديث ومعانيها وأحكامها، ووصف رجالها". (٢٠)
- ٧ - ديوان رسائل .
- ٨ - رسائل في الحساب مجدولات / مطويات .

- ٩ - الشافعي شرح مسند الشافعي .
- ١٠ - شرح غريب الطوال .
- ١١ - الفروق والأبنية .
- ١٢ - كتاب لطيف في صنعة الكتابة .
- ١٣ - المختار في مناقب الأخيار / الأبرار .
- ١٤ - المرصع في الآباء، والأمهات، والأبناء، والبنات، والأدواء، والذوات .
- ١٥ - المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار .
- ١٦ - منال الطالب في شرح طوال الغرائب .
- ١٧ - النهاية في غريب الحديث والأثر: وهو أشهر كتاب ابن الأثير على الإطلاق.

الإعراض عن الملوك:

قد ذكر ياقوت الحموي:

” وحدثني أخوه المذكور (أبو الحسن) قال: حدثني أخي أبو السعادات قال: لقد ألزمني نور الدين بالوزارة غير مرة وأنا أستعفيه حتى غضب مني وأمر بالتوكيل بي قال: فجعلت أبكي فبلغه ذلك فجاءني وأنا على تلك الحال فقال لي: أبلغ الأمر إلى هذا؟ ما علمت أن رجلاً ممن خلق الله يكره ما كرهت. فقلت: أنا يا مولانا رجل كبير وقد خدمت العلم عمري، واشتهر ذلك عني في البلاد بأسرها، واعلم أنني لو اجتهدت في إقامة العدل بغاية جهدي ما قدرت أودي حقه، ولو ظلم أكار في ضيعة من أقصى أعمال السلطان لنسب ظلمه إلي، ورجعت أنت وغيرك باللائمة علي، والملك لا يستقيم إلا بالتسمح في العسف وأخذ هذا الخلق بالشدّة، وأنا لا أقدر على ذلك فأعفاه، وجاءنا إلى دارنا فخبّرنا بالحال. فأما والده وأخوه فلأماه على الامتناع فلم يؤثر اللوم عنده أسفاً.“ (٢١)

مرضه وحبه بالعلم والعلماء:

قد ذكر السيوطي:

”ثم عرض له مرض كف يديه ورجليه، ومنعه الكتابة؛ فانقطع في بيته؛ يغشاه الأكابر والعلماء، فحماه مغربي؛ فالترم أنه يداويه ولا يأخذ أجره إلا بعد برئه، وأخذ في معالجته بدهن صنعه، ولانت رجلاه، وأشرف على البرء، فأرضى المغربي بشيء وصرفه، فلامه أخوه عز الدين، فقال: أنا كنت في راحة مما كنت فيه من صحبة هؤلاء القوم والتزام أخطارهم، وقد سكنت روحي إلى انقطاع والدعة، فإذا طرأت لهم أمور ضرورية جاؤني بأنفسهم، ليأخذوا الرأي“. (٢٢)

قد ذكر ابن خلكان:

”ثم عرض له مرض كف يديه ورجليه، ومنعه من الكتابة مطلقاً، وأقام في داره يغشاه الأكابر والعلماء، وأنشأ رباطاً بقرية من قرى الموصل تسمى ”قصر حرب“ ووقف أملاكه عليه وعلى داره التي كان يسكنها بالموصل، وبلغني أنه صنّف هذه الكتب كلها في مدة العطلة، فإنه تفرغ لها، وكان عنده جماعة يعينونه عليها في الاختيار والكتابة“. (٢٣)

وفاته:

توفي ابن الأثير يوم الخميس آخر ذي الحجة سنة ٦٠٦ هـ، ودفن برباطة بدرج دراج داخل البلد. (٢٤) رحمه الله تعالى وجزاه بما يجزي به العلماء المخلصين .

الهوامش:

- ١ - ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣/ ٢٨٩ - ٢٩١ ،
السيوطي، بغية الوعاة: ٢/ ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،
ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ١٧/ ٧١ - ٧٧ ،
ابن تغري، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٨ ، ١٩٩ ،
القفطي، أنباه الرواة: ٣/ ٢٥٧ - ٢٦٠ ،
ابن العماد، شذرات الذهب: ٥/ ٢٢ ، ٢٣ .
- ٢ - ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٢/ ١٣٨ .
- ٣ - ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣/ ٣٤ .

- ٤ - المصدر نفسه: ٣٢ / ٥ .
- ٥ - ابن العماد، شذرات الذهب: ١٨٨ / ٥ .
- ٦ - الزبيدي، تاج العروس : (أثر) ، ١٢ / ٦ .
- ٧ - ياقوت الحموي ، معجم الأدباء: ٧١ / ١٧ .
- ٨ - ابن خلكان ، وفيات الأعيان : / ١٤١ .
- ٩ - السيوطي ، بغية الوعاة : ٢٧٤ .
- ١٠ - ابن العماد ، شذرات الذهب : ٢٢ / ٥ .
- ١١ - ابن السبكي ، طبقات الشافعية: ٩٦ / ٤ ،
ابن خلكان ، وفيات الأعيان: ٣ / ٣٦٢ .
- ١٢ - ابن الجزري ، طبقات القراء: ٢ / ٣٧٢ ،
السيوطي ، بغية الوعاة: ٤١٢ .
- ١٣ - القفطي ، أنباه الرواة: ٤٧ / ٢ ،
السيوطي ، بغية الوعاة: ٢٥٦ .
- ١٤ - ابن تغري ، النجوم الزاهرة: ٦ / ٩٤ ،
ابن العماد ، شذرات الذهب: ٤ / ٢٦٢ .
- ١٥ - ابن خلكان ، وفيات الأعيان: ٢ / ٣٩٤ ،
ابن العماد ، شذرات الذهب: ٤ / ٣٢٧ .
- ١٦ - القفطي ، أنباه الرواة: ٣ / ٣٢٠ ،
السيوطي ، بغية الوعاة: ٣٩٧ .
- ١٧ - ابن السبكي ، طبقات الشافعية: ٥ / ١٣٦ ،
ابن تغري ، النجوم الزاهرة: ٦ / ٢٠١ .
- ١٨ - المصدر نفسه: ٦ / ١٤٣ .
- ١٩ - ابن العماد ، شذرات الذهب : ٤ / ٣٢٧ .
- ٢٠ - ياقوت الحموي ، معجم الأدباء: ١٧ / ٧٦ .
- ٢١ - المصدر نفسه: ١٧ / ٧٣ .

- ٢٢ - السيوطي، بغية الوعاة: ٢/ ٢٧٤ .
٢٣ - ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤/ ١٤٢ .
٢٤ - القفطي، أنباه الرواة: ٣/ ٢٥٩ ،
ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤/ ١٤٣ ،
ابن تغري، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٩ .

المصادر والمراجع

- ١- ابن تغري: أبو المحاسن، يوسف بردي، الأتابكي (٨١٣ - ٨٧٤ هـ) ،
النجوم الزاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب .
- ٢ - ابن الجذري: أبو الخير، محمد بن محمد (ت: ٨٣٣ هـ) ، طبقات القراء ،
دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة ، بيروت - لبنان : ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- ٣ - ابن خلكان: شمس الدين، أبو العباس، أحمد بن محمد بن أبي بكر:
(٦٠٨ - ٦٨١ هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق: الدكتور
إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .
- ٤ - الزبيدي: محب الدين، أبو الفيض، السيد محمد مرتضى، الحسيني، الواسطي:
(١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق:
علي شيري، دار الفكر ، بيروت ، لبنان : ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
- ٥ - ابن السبكي: أبو نصر، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (٧٢٧ - ٧٧١ هـ) ،
طبقات الشافعية ، تحقيق: عبد الفتاح محمد الجلو محمود محمد الطناحي ،
دار إحياء الكتب العربية .
- ٦ - السيوطي ، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر: (ت: ٩١١ هـ) ،
(الف) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق: محمد أبو الفضل
إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان/ السعادة ، القاهرة: ١٣٢٦ هـ .
(ب) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، مؤسسة الريان للطباعة

- والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، بيروت - لبنان : ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .
- ٧- ابن العماد: أبو الفلاح، عبد الحي، الحنبلي (ت: ١٠٨٩ م)، شذرات الذهب، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- ٨- القفطي: جمال الدين، أبو الحسن، علي بن يوسف (ت: ٦٤٦ هـ)،
إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، القاهرة: ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- السعودية: ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
- ٩- ياقوت الحموي: شهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله، الرومي، البغدادي (ت: ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)، (أ) معجم الأدياء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط - دار المأمون، القاهرة: ١٩٣٦ م .
- (ب) معجم البلدان، دار صادر بيروت، لبنان: ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .